

التعليق على صحيح البخاري

(الدرس السادس)

فضيلة الشيخ

صالح عبد الكريم

حفظه الله ورعاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:-

فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، نستكمل التعليق على كتاب صحيح البخاري.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي الزُّهْرِيُّ بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمْلُونِي زَمْلُونِي " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: ٢] إِلَى -[٨]- قَوْلِهِ {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ٥]. فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَتْ تَابِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَتَابِعَهُ هِلَالُ بْنُ رَدَادٍ، عَنِ، وَقَالَ يُونُسُ، وَمَعْمَرُ بَوَائِرُهُ "

هذا الحديث أورده الإمام البخاري - رحمه الله - عطفاً على ما سبق من الرواية السابقة، وفيها مزيد بيان لصورة مجيء الوحي للنبي ﷺ وهنا أبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف والحديث عن ما جاء بعد فترة الوحي، فترة الوحي يعني انقطاع الوحي كما أسلفنا في الدرس الماضي أن الوحي

انقطع عن النبي ﷺ بعد المرة الأولى، وحصل خلاف بين العلماء في تحديد هذه الفترة.

فذكر كثير من أهل العلم أنها كانت ثلاث سنوات ثم أنزل الله ﷻ هذه الآيات من سورة المدثر، فهذا البيان زائد على ما سبق، قال النبي ﷺ: " **الْمَلَكُ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي، فَإِذَا الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ** "، وهنا الملك كما أسلفنا الألف واللام فيه للعهد الذهني والمقصود به جبريل عليه السلام.

قال: "جالسٌ على كرسِيٍّ بين السماء والأرض" قال: "فَرُعِبْتُ" وهذا فيه دلالة على عظمة خلق الملائكة، وقد جاء في النصوص أن النبي ﷺ رأى جبريل في هيئته، فهنا وقع في نفس النبي ﷺ الرعب قال: "رُعِبْتُ" والرعب هنا المراد به الفرع الذي يحدث للإنسان، وقد ذكرنا في الدرس الماضي أن هذا الفرع جمع بين الخوف وبين الاستغراب من النبي ﷺ، وذكر ما بين أول نزول للوحي وما بين الانقطاع، أن بداية الوحي كان ب **﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]**

ثم تجدد الوحي على النبي ﷺ ب **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]**

قال: "فحمي الوحي" أي المراد به تكاثر وتتابع الوحي على النبي ﷺ كما يُقال "حمي الوطيس" أي اشتد، فكثير مجيء الوحي بعد هذا الانقطاع الطويل عن النبي ﷺ .

ثم أشار البخاري بذكر بعض المتابعات للحديث السابق، قال: "تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال بن رداد عن الزهري وقال يونس ومعمّر بوادره".

هنا إشارة إلى المتابعات، وهذه الطريقة سوف تتكرر معنا في صحيح البخاري، من منهج البخاري في الصحيح أنه يذكر الإسناد والمتمن للحديث وربما كان عند البخاري هذا الحديث من رواية أخرى، وهذه الرواية الأخرى تتضمن فائدة في المتن أو في الإسناد، نجد أن البخاري يشير إلى هذه الرواية أسفل الرواية الأولى سواء كانت فائدة متنيه، أحياناً يذكر البخاري رواية فيها زيادة لفظة، أو زيادة عبارة فيوردها البخاري، وفي بعض الأحيان تكون الفائدة إسنادية كأن يكون الإسناد الأول الذي أورده البخاري إسناداً نازلاً فيأتي بإسنادٍ عقبه عالٍ ليبين البخاري أن الحديث عنده من وجهين بإسنادٍ عالي وإسنادٍ نازل، وأحياناً بعض الأسانيد يكون فيها إهمال يعني فقط الراوي ذُكر اسمه من غير ذكر والده أو لقبه أو نسبه كأن يرد في الحديث حدثنا عبد الله (هذا مُهْمَل) فيأتي البخاري بسند آخر يبين من هو هذا عبد الله إذا صُرِّح به، وكذلك الإبهام.

وجه الشاهد من هذا الكلام أن البخاري - رحمه الله - طريقته هذه مضطرده في الكتاب، أنه يذكر أحياناً السند والمتمن ابتداءً ثم إذا كانت هناك روايات أخرى فيها فوائد إضافية في المتن أو في السند فإنه يوردها عقبه.

فهنا ذكر المتابعة قال: "تابعه عبد الله بن يوسف" يشير إلى الرواية التي سبقت في البداية وهي رواية يحيى بن بُكير أن هناك متابعة له وأبو صالح،

يعني يحيى بن بُكير وعبد الله بن يوسف وأبو صالح كلهم رووا الحديث عن الليث بن سعد، وهذا أبو صالح اسمه عبد الله بن صالح يُعتبر كاتب الليث بن سعد ومن أحفظ الناس فيه.

قال: "وتابعه هلال بن رداد عن الزهري" متابعة أخرى وقال يونس ومعمربوادره".

هنا أشار طبعاً يونس الأيلي (يونس بن يزيد الأيلي وسوف يتكرر معنا) ومعمربن راشد، فهؤلاء رووا الحديث بزيادة لفظة مختلفة، نحن مضى معنا في اللقاء الماضي أن عقيل روى الرواية عن الزهري بلفظ "يرجف فؤاده" يرجف فؤاده مضى معنا، ويونس ومعمربرووا هذه الرواية عن الزهري ولكن بلفظة بوادره (يرجف بوادره)، فهنا اختلاف في اللفظة، والبوادر المراد بها العضلة التي تكون بين الكتف وبين العنق، قالوا أن الإنسان إذا أصابه خوف أو فزع فإن هذه العضلة تتحرك فيه (تتحرك فيه) فذكر البخاري هذه الزيادة لمزيد فائدة فيها.

ثم قال: "حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبي عائشة قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦].

قال: "كان رسول الله ﷺ يُعالج من التنزيل شده وكان مما يحرك شفثيه"، فقال ابن عباس فأننا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، وقال سعيد يعني سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس "أنا أحركهما كما رأيتُ

ابن عباس يحركهما " فحرك شفتيه، قال فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ
لِتَعَجَّلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)﴾ [سورة القيامة]

قال جمعه له في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]

قال فاستمع له وانصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]

ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع
فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه (أي كما قرأه جبريل)، هذا
الحديث شيخ البخاري الذي صدر به موسى بن إسماعيل أبو سلمة
التبذوكي من حفاظ مصر، من الثقات الحفاظ ثم يرويه عن أبو عوانة
الوضاح بن عبد الله اليشكري أيضاً حافظ متقن، قال حدثنا موسى بن أبي
عائشة ولا يُعرف اسم والده والد موسى ورد في هذا الإسناد بالكُنية ابن أبي
عائشة، من هو أبو عائشة؟

اختلف العلماء في تحديده وهذا كثير يمر علينا أن بعض الكُنى يعرفون أسماء
أصحابها، وبعض الكُنى لا يعرفون أسماء أصحابها.

ذكر بن عباس في تفسير هذه الآيات قال: "كان رسول الله ﷺ يُعالج من
التنزيل شدة" يعني كان النبي ﷺ يجد مشقة في نزول الوحي عليه، وقد سبق
أن أشرنا إلى هذه الفائدة وذكرنا أن فيه زيادة أجر النبي ﷺ فكان يجد شدة
في نزول هذه الآيات.

قال: "وكان مما يُحرك شفتيه" كان النبي ﷺ إلى جانب هذه الشدة التي
كان يعانيتها في نزول الوحي عليه، كان النبي ﷺ قد حمل هم حفظ هذه

الآيات، وضبط هذه الآيات فكان جبريل يقرأ وهو يقرأ معه في آنٍ واحد حتى لا يتفلت منه وحتى يضبطه النبي ﷺ .

قال: "وكان مما يحرك شفثيه" إذاً سبب تحريك الشفثين حتى يحفظ وحتى يضبط والإنسان أحياناً إذا ردد قد يضبط عنده المحفوظ.

فقال ابن عباس: "فأنا أحركهما لكم" طبعاً هنا ابن عباس لما يروي عن النبي ﷺ "فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما" هذا الأصل أن يعد من مراسيل الصحابة (من مراسيل الصحابة) لأن ابن عباس لم يدرك هذا الأمر أو يحمله بعض العلماء أن النبي ﷺ علمه بعد ذلك (علمه أراه كيف كان يُحرك شفثيه) فعرفها ابن عباس مؤخراً، وهذا معلوم في يعني علم الحديث أن روايات يعني صغار الصحابة غالباً تكون من المراسيل، وحتى القصة التي يعني سبقت معنا في ذكر تعبد النبي ﷺ في غار حراء، الراوية لهذه الحادثة عائشة رضي الله عنها، وعائشة رضي الله عنها كانت صغيرة لم تشهد هذه الحادثة، فالصحابه الذين لم يشهدوا هذه الأحداث إما أن يرووا عن صحابة آخرين أو أن هذا الأمر سمعوه مرة أخرى من النبي ﷺ وعلى كل حال يعني مراسيل الصحابة مقبولة باتفاق العلماء.

وهنا أراد ابن عباس أن يوضح لتلاميذه هيئة تحريك النبي ﷺ وهذا فيه فائدة أن المعلم قد يستخدم الفعل للتوضيح (قد يستخدم الفعل للتوضيح) فابن عباس رضي الله عنه هنا لم يقتصر على مجرد الكلام أن النبي ﷺ كان يحرك الشفثين مع إن ذكر تحريك الشفثين هذا الأمر واضح إذ ذكر، ولكن أراد أن يؤكد هذا التوضيح بالفعل والتطبيق أمام التلاميذ.

وأيضاً هذا الصنيع حدث من سعيد بن جبير لتلاميذه وهذا يدخل أيضاً في التسلسل في الفعل أنهم ينقلون بعض الأفعال على هيئة التسلسل.

قال: "فحرك شفثيه" يعني كان النبي ﷺ يحرك شفثيه، فجاء يعني الأمر من الله ﷻ ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]

يعني طلب من النبي ﷺ ألا يحرك اللسان حتى يتعجل بحفظ هذه الآيات وبُين للنبي ﷺ أن الله ﷻ تكفل بحفظ القرآن وجمعه، وأن قضية الحفظ كما في تنمة الآيات سيكون يسير على النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ في بدايات الوحي، طبعاً هنا يعني باب بدء الوحي، وكله شرح لهيئات الوحي وصفاته، فكان النبي ﷺ في البدايات يحرك شفثيه، فجاء الأمر من الله ﷻ ألا يُحرك لسانه، وألا يخشى من ذهاب هذه الآيات؛ لأن القرآن محفوظ والله ﷻ حافظه وسيكون هناك تيسير على النبي ﷺ في حفظ هذه الآيات.

قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]

ثم إن علينا أن نقرأه، قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]

قبل ذلك هذا فيه معنى من الفوائد ما يتعلق باستماع القرآن والإنصات له حال تلاوته.

ثم قوله ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]

فيه تيسير قراءته للنبي ﷺ بعد قراءة جبريل، ولذلك كان النبي ﷺ يسمع من جبريل كاملاً ثم يقرأه كما قرأه جبريل تماماً بعد أن ترك النبي ﷺ تحريك الشفتين الذي كان في البداية حرص من النبي ﷺ على حفظ القرآن.

وأيضاً هنا في قوله ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]

ذكر العلماء مسألة إيضاح القرآن وأن النبي ﷺ بُيِّنَ له القرآن، ومعاني القرآن وفيه أن القرآن مُبَيَّنَّ واضح، وهذا فيه تأصيل لمسألة عقدية مهمة جداً، وهي أنه لا يوجد في القرآن شيءٌ خفي، لا يوجد في القرآن شيء لا يفهم معناه، قد يحصل تفاوت بين الناس في الفهم، فالعلماء يعطون درجة أعلى من الفهم ثم من دونهم وهكذا يتدرج الناس.

أما أن يكون شيء في القرآن غير مُبين أو لا يفهم معناه فهذا لا يوجد على خلاف ما ذهب إليه أهل التفويض الذين يقولون أن القرآن أو بعض الآيات كآيات الصفات غير معلومة المعنى وغيرها هذا مردود، والنصوص في ذلك كثيرة، وأقل دليل على ذلك مسألة التدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [القرآن: ٨٢]

فإذا طلب الله ﷻ من الناس أن يتدبروا شيئاً غير مفهوم يكون من التكليف بالمطاق بالذي لا يُطاق، أو تكليف بالمحال وهذا لا يكون في هذه الشريعة، فهذا تقرير لهذه المسألة المهمة في قوله ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]

ثم ذكر الحديث الذي يليه

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ
أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ ح وَحَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ
أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ نَحْوَهُ قَالَ
أَخْبَرَنِي عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ
يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ

هذا الحديث بدأ البخاري بشيخه عدنان بن عبد الله المروزي قال أخبرنا عبد الله وهذا الغالب في بداية الأسانيد في أشياخ البخاري أن إهمال عبد الله يُطلق على عبد الله بن المبارك، هذا مضطرد في أسانيد البخاري عدنان بن عبد الله المروزي يرويه عن عبد الله (عبد الله الثاني هذا عبد الله بن المبارك) قال أخبرنا يونس وقد مضى عن الزهري وقد مضى، قال حاء (حاء هذه لتحويل الإسناد) إذا كان للبخاري إسنادان وطريقان للحديث فإنه يستخدم التحويل، يعني يذكر السند الأول ثم يقول حاء يعني والإسناد الآخر يتحول إلى الإسناد الآخر، ثم يجمع الإسنادين كما في هذه الصورة، يعني يلتقي الإسنادان في النهاية عن الزهري.

قال أخبرني عبید الله بن عبد الله فهذه يعني موجودة في صحيح البخاري ولكنها ليست كثيرة (ليست كثيرة) وجرت عادة العلماء أنهم ينطقونها حاء بالمد وبمرون يعني يُذكر الإسناد الأول ثم حاء هذه ثم الإسناد الثاني والمشهور الذي اشتهر بكثرة التحويل هو الإمام مسلم (هو الإمام مسلم) يعني الطالب الذي يقرأ في صحيح مسلم سيجد التحويل كثيراً عنده، لأن يعني من مقاصد الإمام مسلم في صحيحه جمع الروايات في موضع واحد، وهذا ليس من مقاصد البخاري.

البخاري قد يفرق الرواية على أبواب كثيرة، ولذلك كثر التحويل عند الإمام مسلم وعند البخاري قليل في بعض المواضع يذكر إسنادين يلتقيان في موضع واحد فيستخدم حاء التحويل، فذكر هذا الإسناد، وهنا يعني أشار

لو تلاحظون في الإسناد الأول يونس عن الزهري، وفي الإسناد الثاني يونس ومعمر عن الزهري.

نلاحظ شيء أنه بعد الإسناد الثاني قال نحوه (قال نحوه) هذه يعني فائدة حديثية مهمة ينتبه لها طالب العلم، العلماء يستخدمون عبارتين:

- إذا كان في كلا الإسنادين اللفظ متشابه لم يتغير يعني بنفس اللفظ، العالم لا يُشير أو يستخدم كلمة مثله، يعني المتن متطابق للإسنادين، يستخدمون كلمة مثله.

- وإذا كان هناك اختلاف يسير بين المتن بالإسناد الأول وبين المتن في الإسناد الثاني يستخدم علماء الحديث لفظة نحوه، نحوه معناه مقارب أي اللفظ مُقارب، ومثله أي اللفظ مماثل، يعني اللفظين لا يختلفان في الإسنادين إذا استخدم العالم كلمة مثله، وأما إذا استخدم نحوه فاللفظ مقارب، يعني ليس اللفظ مشابه للفظ الأول.

فهنا الرواية التي جاءت عن معمر هي بالمعنى، والرواية التي عن يونس باللفظ، الرواية الأولى عن يونس هي التي باللفظ، وأما رواية معمر فهي بالمعنى.

قال: "أخبرني عبيد الله بن عبد الله طبعاً بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال كان رسول الله ﷺ أجود الناس"

الجود في الشرع المراد به إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي (إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي) فإذا أُطلق الجود ابتداءً قد يظن البعض أنه باب الصدقة، لكن

معنى الجود واسع، أحد مفردات الجود السخاء والصدقة، ولكن قد يكون عند الإنسان جود في الأخلاق، جود في القراءة، جود في الصدقة فهذا الباب واسع، فهنا استخدم كان رسول الله ﷺ أجود الناس أي بالمعنى العام في الشرع.

قال: "وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل"

وهذا فيه مدارس القرآن في شهر رمضان (مدارس القرآن في شهر رمضان) قال العلماء أن تخصيص شهر رمضان بالمدارس لأنه شهر تنزيل القرآن (لأنه شهر تنزيل القرآن) القرآن أنزل في رمضان فكانت المدارس في رمضان، وهذه المدارس القصد منها مزيد التأكيد في الحفظ للنبي ﷺ يعني حتى لا ينسى شيء منه.

قال: "وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن"

لأجل الضبط وهذا فيه فائدة: زيادة الاجتهاد في مواسم الخير (زيادة الاجتهاد في مواسم الخير) فكان النبي ﷺ لديه جود في البذل، في قراءة القرآن، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان لأن هذا الموسم له خصوصية ففيه فائدة الاجتهاد في مواسم الخير، وفيه أيضاً من الفوائد مجالسة الصلحاء، وأهل الخير، والتذاكر معهم، والتدارس معهم، فإن الإنسان إذا جالس العلماء وجالس الصلحاء وأهل الخير فإنه لا يعدم الفائدة التي ينالها.

قال: "فلسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"

وهذا فيه إشارة إلى مسارعة النبي ﷺ في الخير، وفيه كما أسلفنا استحباب تلاوة القرآن يكون في أي وقت لكنه في مثل هذه المواسم له خصوصية

وهذه صورة من صور يعني لقاء الوحي للنبي ﷺ ، وتلاحظون أن هذا يعني على التدرج، يعني ذكر في البدايات أول نزول الوحي على النبي ﷺ ثم انقطاع الوحي ثم نشاط الوحي ونزوله على النبي ﷺ ثم طريقة النبي ﷺ في تثبيت الحفظ وحصول المراجعة وتكرار اللقاء من جبريل مع النبي ﷺ هذه كلها تفصيل لهيئة مجيء الوحي للنبي ﷺ الصور والطرق وأساليب تثبيت حفظ القرآن عند النبي ﷺ .

ثم قال: "حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش قال فأتوه وهم بإيلياء"

هذا الحديث طبعاً الحديث طويل لذلك سنشرحه على جزئياته بدأ فيه البخاري - رحمه الله - بشيخه الحكم بن نافع الحمصي وهو إمام وقد

روى عنه الأئمة، أبو اليمان روى عنه الإمام أحمد وروى عنه يحيى بن معين وأبو حاتم من الحفاظ.

"قال أخبرنا شعيب"

شعيب بن دينار الحمصي أيضاً من الثقات الحفاظ عن الزهري، وقد مضى محمد بن شهاب الزهري.

"قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود" وقد مضى في

الإسناد الماضي أن عبد الله بن عباس أخبره أن سفيان بن حرب (أبو سفيان صحرا، اسمه صخر بن حرب بن أمية رضي الله عنهم، وهذه الحادثة كانت قبل إسلامه، يروي ما حدث بينه وبين هرقل.

قال: "أخبره أن هرقل" هرقل هذا هو الاسم واللقب قيصر، وهذه الألقاب كانت معروفة قيصر وكِسرَى، الفرس ملوكهم يلقبون بكِسرَى، والرومان بقيصر، وأما اسمه هرقل، فتجد طبعاً لكل واحد اسم ولقب هذه الألقاب يعني تطلق على كل الملوك، قيصر وكِسرَى اسم لكل ملك يكون عند الرومان أو عند الفرس.

قال: "أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركبٍ من قريش" الركب جمع راكب وهي القافلة من الإبل تكون من عشرين فما فوق، يُطلق عليهم في لغة العرب الركب، ولماذا طلب هرقل من أبي سفيان أن يلقاه؟ لأنه كان زعيماً على الركب فأرسل إليهم باسمه.

قال: "وكانوا تجاراً بالشام" على العادة القديمة التي كانت موجودة عند

العرب وما جاء عن عبد المطلب في رحلتي الشتاء والصيف، فكانوا يذهبون إلى الشام ويذهبون إلى اليمن، فكانوا في رحلة وفي ركب فطلب هرقل لقاءهم، قال في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش، المدة المقصود الصلح (صلح الحديبية)، يعني هذا اللقاء كان إبان صلح الحديبية مد لهم هذه المدة، ولا يخفاكم أن المدة كانت عشر سنوات ولكنهم نقضوا العهد فصارت ثمانية سنوات، وجه الشاهد أن هذه الحادثة كانت في هذه المدة.

قال: "فأتوه وهم بإيلياء" إيلياء أي بيت المقدس يُطلق بالمد وبالقصير، إيلياء وإيلي يعني بالهمز وبالمد كلاهما ثابت.

قال: "فدعاهم في مجلسه وحوله (يعني هرقل) عظماء الروم" والمراد بعظماء الروم هنا القساوسة والبطارقة والرهبان الذين كانوا في الغالب معه، وهرقل كان صاحب علم كما سوف يأتي، علم بدينهم ومعرفته.

قال: "فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه" وضبطت بترجمانه التاء (التاء جاء في ضبطها الضم والفتح) والترجمان المراد به المعبر من لغة إلى لغة (يعبر من لغة إلى لغة) ويُطلق الترجمان على الذي ينقل الحديث من غير لغة، يعني ينقله من طرف إلى طرف كالمستمطين في مجالس المحدثين.

فقال: "أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل" سأههم هرقل، سأل أبا سفيان ومن معه، أيكم أقرب نسب إلى النبي ﷺ، قال نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، طبعاً اختيار أقرب الناس نسباً لأنه سيكون أكثر معرفة به، ويطلع على أحواله الظاهرة والباطنة، وكما سوف يأتينا هرقل هنا سأل عشر أسئلة تفصل حياة النبي ﷺ من جوانب كثيرة جداً دينية واجتماعية وغير ذلك،

فقال أبو سفيان: "فقلت أنا أقربهم" وهذه القرابة لأن أبا سفيان من عبد بني مناف، وهذا يعني القرب في الأجداد، يعني من ضمن الموجودين يعتبر هو الأقرب إلى النبي ﷺ .

فقال: "ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه" يعني ماذا فعل هرقل جعل أبا سفيان أمامه مباشرة وجعل بقية الركب خلفه، حتى يسأل أبا سفيان الأسئلة، وطلب من الترجمان أن يقول لمن هو خلف أبو سفيان من الركب إن كذب أبا سفيان فأشيروا إليه، طبعاً لماذا لم يضعهم أمامه؟ لأنه من الصعب أن يُصرح الإنسان أمام شخص بأنه ماذا؟ يكذب، ولكن إذا كانوا خلفه وأشاروا بأنه يكذب أو أن كلامه غير صحيح، فإن هذا لا يثير بينهم الخلاف، وهذا طبعاً كله يدل على ذكائه (ذكاء هرقل) وحتى طريقة الأسئلة تدل على الحكمة التي كان يتمتع بها.

قال: "ف والله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبت عنه" وهذا فيه أن أهل الجاهلية كانوا يترفعون عن الكذب (كانوا يترفعون عن الكذب) وأنه كانت لديهم بقية من الأخلاق الحسنة، وهذا دليله حديث النبي ﷺ "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" وهذا فيه فائدة كيف يتعفف الكافر الذي هو على الشرك عن الكذب ثم يقع المؤمن في الكذب، أليس المؤمن هو الأولى باجتناّب الكذب! والكذب من أقبح الذنوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "هو مما حُرِّمَ في سائر الشرائع" وحتى قال البعض في شرح هذا الحديث ربما أخذه أهل الجاهلية مما كان موجود في الشرائع السابقة يعني من تحريم الكذب.

قال بعد ذلك: "ثم كان أول ما سألني عنه أن قال كيف نسبه فيكم؟ قلت هو فينا ذو نسب" وهذا السؤال عن علو النسب وهل هو من الأشراف؟ صاحب نسب عالٍ أو من أوساط الناس أو دونهم.

قلت: "هو فينا ذو نسب" وهذا التنوين للتعظيم، أثبت أنه صاحب نسب، وذكر بعض الشراح أن سر اختيار شخص قريب من النبي ﷺ في النسب حتى لا يكذب ويتهم النبي ﷺ في نسبه، لأنه إن اشترك معه في شرف النسب فلن يقدح في نسب النبي ﷺ .

قال: "فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟" هذا القول يريد النبوة يعني هل هناك قبله من ادعى هذا الأمر ونسبه إلى نفسه؟

قلت: "لا".

قال: "فهل كان من آبائه من ملك" هل كان أحد آبائه من الملوك (أي النبي ﷺ).

قلت: "لا"

قال: "فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟"

فقلت: "بل ضعفاؤهم" أشرف الناس هنا المراد به أهل النخوة، والذين فيهم نوع كبر حتى لا يدخل فيه كل شريف لأن هناك من الأشراف أبو بكر الصديق وغيرهم، لكن هنا إشارة إلى من اتصف بالكبر والغطرسة والاعتداد بالنفس، فسأل هل الذين يتبعون النبي ﷺ أهل الكبر والعناد والغطرسة أم الضعفاء؟

قلت: "بل ضعفاؤهم"

قال: "أيزيدون أم ينقصون؟"

قلت: "بل يزيدون" أي أتباع النبي ﷺ هل هم في زيادة أم في نقصان.

قال: "فهل يرتد أحدٌ منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟" يعني

من ترك دين النبي ﷺ، هل هناك من يترك هذا الدين كراهيةً لهذا الدين؟ وهذا قيد مهم، سخطةً للدين أي كراهيةً للدين، لأن قد يترك شخص لحظ النفس، حظوظ الدنيا، أشياء أخرى، هذه لم ينظر إليها، وإنما من دخل في الإسلام وكره الإسلام ثم خرج منه.

قلت: "لا"

قال: "فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟"

قلت: "لا"

قال: "فهل يغدر؟"

قلت: "لا"، قال: "ونحن منه في مدةٍ لا ندري ما هو فاعلٌ فيها،

قال ولم تمكني كلمةٌ أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة"

لأنه لم يُرد أن يكذب في شيء، وهذا فيه حرص الكفار على تشويه صورة النبي ﷺ، يعني كان أبو سفيان في هذا الموقف يريد أن يشوه صورة النبي ﷺ بأي طريقة، ولو بكلمة فيها تلميح فلم يستطع حتى لا يؤثر عنه الكذب، يقول الموضع الوحيد الذي استطعت أن أدخله هذه العبارة "قال أنه لا يغدر ولكن نحن منه في مدة" يعني تركناه منذ مدة لا ندري ربما في هذه المدة وقع في ماذا؟ في الغدر أو في الكذب، فهذه طعن خفي في النبي ﷺ .

وطبعاً جاء في بعض الروايات أن هرقل لم يلتفت لذلك (يعني لم يلتفت لهذه الكلمة).

قال: "فهل قاتلتموه؟"

قلت: "نعم"

قال: "فكيف كان قتالكم إياه؟"

قلت: "الحرب بيننا وبينه سجال" سجال أي نوب، يكون بالتناوب، تارةً ينتصرون عليهم، وتارةً هم ينتصرون في بدر وفي أحد وهكذا، والسجال مأخوذٌ من السجل وهو الدلو الذي يوضع في البئر في كل مرة يسقي منه فئة، فشبه هنا الحرب بالسجال أي أنه أحياناً يكون للمسلمين، وأحياناً يكون للكفار (أي الانتصار).

قال: "الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه"

قال: "ماذا يأمركم؟"

قلت: "يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً" وهذا فيه إشارة إلى أن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله **عَلَيْكَ التركيز على التوحيد، والبدء بالدعوة إلى التوحيد، هكذا سائر الأنبياء يركزون على الدعوة إلى التوحيد والبعد عن الشرك والتنديد.**

قال: "واتركوا ما يقول آباؤكم" أي اتركوا وهذه كلمة جامعة ما كان عليهم آباءهم من معاني الجاهلية، أي كل الصفات المذمومة، بدلاً أن يُفصل، نُهيَّ عن كل الصفات السلبية، ذكر هذه الكلمة على وجه الاختصار.

قال: "ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة" في بعض الروايات والصدقة وهي أقوى لماذا؟ لأنه يغلب في النصوص الشرعية اقتران الصلاة بالزكاة، فجاء في رواية "يأمرنا بالصلاة والصدقة" وفي رواية "بالصلاة والزكاة" هذا الأغلب.

قال: "ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة"

لعلنا نقف عند هذا القدر لأنه تبقى عشر دقائق للصلاة ونكمل في
اللقاء القادم.

أسأل الله أن ينفعنا وإياكم بالعلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك
والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.